حوار.. أهديه إلى: الشباب!

عبدالعزيز صادق

كان المفروض أن تكون هذه السطور حوارا اقتصاديا مع الأستاذ د. وجيه شندي عضو مجلس الشورى ورئيس بنك الاستثمار العربي.. ولكن - في مكتبه - استمعت إلى حوار جمع بينه وبين مهندس شاب.. رأيت أن أسجله وأهديه إلى الشباب لعله يجد فيه مايضيء الطريق إلى المستقبل في مسيرة القلق والتسرع

المهندس الشاب.. ولد نابغ طموح.. عائد لتوه من أمريكا بدرجة علمية في تخصص جديد. قال له أساتذته إنه أول عربي يحصل عليها! وبالرغم من أنه لم يتجاوز الثلاثين إلا ببضعة شهور.. فإنه في عجلة من أمره.. إنه يريد أشياء كثيرة في أسرع وقت ممكن.. ألم يعد إلى بلده بدرجة علمية فريدة؟ أليس له الحق في الطموح للمنصب المرموق.. والمرتب الكبير.. ورأس المال أيضا؟!

إنها قضية الشباب.. كل الشباب في زمننا المعاصر.

في هدوء شديد يقول د. وجيه شندي: إنك تريد الوصول إلى القمة.. أليس كذلك؟

يجيب الشاب: نعم

- هل تتصور أن تصل إليها طائرا؟ أو تصل صعودا درجة بعد أخرى؟ أنت الآن مسلح بشهادة جامعية.. ودرجة علمية.. وعليك أن تحدد هدفك بوضوح.. أي: ماذا تريد أن تكون عندما تصل إلى سن الخامسة والخمسين مثلا..؟ هل تريد أن تكون رئيس شركة استشارية؟ أو رجلا مرموقا في الحكومة؟ أو صاحب شركة خاصة؟ عليك أن تحدد من الآن هدفك الأصلي وهو هدف طويل الأجل. وهناك مجموعة أهداف متوسطة الأجل، وأخرى قصيرة الأجل. إنها أشبه بحلقات تشتبك الواحدة منها بالحلقة التالية في تسلسل يقود في النهاية إلى الهدف الأصلي.. مافعلته بحصولك على البكالوريوس.. ومانلت به من أعمال.. وسفرك للحصول على الدرجة العلمية حلقات الماضي. التي تشتبك مع ماسوف تعمله الآن وماتعمله في المستقبل لتصل إلى الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه في المستقبل.

ويضيف د. وجيه شندي قائلا: لاحظ أن الهدف الذي تحدده ليس بالضرورة هو الذي يتحقق لكن شيئا قريبا منه جدا. هناك نوع من التعديل يحدث. تعديل قد تجريه أنت بنفسك من خلال اكتسابك خبرة جديدة كل يوم. وتعديل آخر قد تجريه الحياة نفسها. إنها خطوط متداخلة.. أنت تعطي للحياة، والحياة تعطي لك.. وبالتالي فأنت تطور نفسك وتطور هدفك أيضا.

يقول الشاب: أعرف هدفي تماما.. أريد دخلا كبيرا يمكنني من الاستمتاع بالحياة أنا وأسرتي.. وأريد أن أدخر مالا من أجل ابنتي الصغيرة.. وأريد أن تبلغ مدخراتي قدرا يجيء لي إمكانية أن أكون صاحب عمل.. فلست أريد أن أعيش عمري كله أجيرا أعمل عند آخرين!

يعلق د. شندي: ضع في اعتبارك أن أمامك اختيارا واحدا من اثنين.. الخبرة.. أو المال؟ من الصعب أن تجمع الاثنين بسرعة.. صحيح أن لقاء سيتم بينهما ذات يوم في المستقبل ولكن.. في بداية حياتك تبذل جهدا كبيرا وتأخذ في المقابل دخلا صغيرا.. وكلما ازددت خبرة.. يقل حجم العمل والجهد.. ويزيد حجم الدخل.. وهذه طبيعة الأشياء بالنسبة للمهندس، والطبيب، والمحامي، والمحاسب.. إلخ إذن فعليك أن تعرف المعادلة في طبيعة الحياة.. قل لنفسك: سأعمل وأكتسب خبرة.. والخبرة ستعطيني مركزا متميزا.. وستعطيني في المستقبل كثيرا من المال.. متى يكون ذلك؟ قد يكون في سن الأربعين أو الخامسة والأربعين.. ولكن لاتنس الله أبدا

يسأل الشاب: ماذا تعني؟

أستاذ الاقتصاد د. وجيه شندي عضو مجلس الشورى

يجيب الأستاذ: المال علمه عند الله.. لانستطيع أن نعرف مسبقا متى يجيء.. أو من أين يجيء.. أو لماذا يجيء! يقول تعالى «وفي السماء رزقكم وما توعدون» هذه آية.. «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب» آية ثانية، «والله يرزق من يشاء بغير حساب» آية ثالثة. مهمة الإنسان أن يجتهد ويسلح نفسه بالعلم والمعرفة والخبرة.. وعليه أن يكون مستقيما في حياته.. وعليه أن يعمل لأن القرآن دائما يربط بين العمل والرزق.

ويضيف د. وجيه شندي: ليس بالمال وحده يحيا الإنسان. ولكن الحياة وضروراتها تجعل البشر ينسون هذه الحقيقة.. المفروض أن يكون لدى الإنسان مايكفيه.. وأن يحس بالقناعة والرضا.. هل المال هدف؟ أو وسيلة لتحقيق هدف؟ أمام هذا السؤال نتوقف قليلا.. لوكان المال هدفا لشقى الإنسان.. لأن الإنسان لايشبع من المال أبدا.. اثنان لايشبعان: طالب علم، وطالب مال! إذا كان المال هدفا.. إذن فلاحاجة إلى بكالوريوس.. أو ماجستير.. أو دكتوراه.. تستطيع أن تذهب إلى وكالة البلح لتتعلم أسرار مهنة تجارة الخردة.. بل تستطيع أن تشتغل جزارا.. وفي أنك ستحصل من ذلك أموالا أكثر من أي عمل آخر.. هل هذا هو ماتريد؟

يجيب الشاب: بالطبع لا..

يقول الأستاذ: إذن فالمال وسيلة وليس هدفا.. إذا كنت تريد الاستمتاع بالحياة فهذا ممكن. مثلا أستطيع أن آخذ زوجتي للعشاء في فندق كبير.. وأنفق أربعين أو خمسين جنيها.. ولكن بدلا من ذلك أستطيع أن أذهب معها إلى النادي ونتعشى بخمسة أو ستة جنيهات.. وربما تكون قد خرجنا للعشاء خارج البيت وربما يكون عشاء النادي أمتع مذاقا من عشاء الفندق الكبير الشهير.. إذن فالقضية ليست كم أنفقت على عشائنا خارج البيت.. القضية كيف استمتعت بالعشاء بصحبة زوجتي.

ويختم د. شندي الحوار قائلا: يابني لقد عدت لبلدك بعد عام ونصف.. ستجد بلدنا قد اختلف عما كان عليه عند مغادرتك.. لاأستطيع أن أقول لك كيف.. ولكنك سوف ترى وتسمع افتح ذهنك.. وعينيك.. وأذنيك.. وأمامك شبابك وحياتك وهما أكبر رأس مال عندك بالإضافة إلى ذهنك وهو أكبر هدية من الخالق للإنسان.. حدد لنفسك الهدف بوضوح.. واختر الوسيلة لتحقيق الهدف.. وتمسك بالصبر.. والمثابرة.. والاستفادة من التجربة.. وتأكد أن جهدك.. ونباهتك وذكاءك.. وإخلاصك سوف تحقق أمنياتك بشرط أن تكون واقعيا عمليا.. وبشرط أن تكون حازما حازما.. فالحياة المعاصرة لم يعد فيها اللون الأبيض والأسود فقط بل فيها اللون الرمادي وهو الأغلب والأعم.. والله يوفقك ويهديك سواء السبيل ياولدي.

□ إلى قلب ممدوح جبر

في البداية أهدي تحياتي للوزير الطبيب ممدوح جبر.. مرحبا بعودته إلى عمله بعد أن أكرمه الله وأسبغ عليه نعمة الشفاء.. وأقول له: حمدا لله على سلامتك.

وبعد التحية والدعاء.. أرجو أن يتسع صدره لسطوري هذه.. على أمل أن يتذكر أنه - قبل أي اعتبار آخر - طبيب.. أي: إنسان رحيم.. وهب جهده لمهنة إنسانية.

الحكاية: أن د. جبر - بصفته وزيرا للصحة - أصدر القرار الوزاري رقم ٦٤٠ لسنة ٨٠ الذي جاء مفاجأة لأكثر من مئتي أسرة مصرية.. القرار المفاجيء يلغي بدل العيادة - ثلاثون جنيها كل شهر - الذي كان يصرف لمفتشي الصحة بالقاهرة.. على أن يسمح لهم بفتح عيادات مقابل الغاء البدل.

سيادة الوزير: لاشك أنك تتفق معي في أن الحصول على شقة لفتح عيادة خاصة شيء مستحيل في هذه الأيام بسبب أزمة المساكن التي نعرفها جميعا! ومعظم هؤلاء المفتشين - كما سمعت - لايملك مدخرات تتيح له تملك شقة أو دفع خلو أو تجهيز عيادة! كما أن معظمهم يقترب من سن الأحالة إلى المعاش.. أي أنه من المستحيل لأي منهم أن يبدأ في هذه السن ترتيب حياة جديدة!

ويقتضي قرار وزاري سابق - عمره أكثر من خمسة عشر عاما - كان محظورا عليهم فتح عيادات خاصة.. وفي تلك الأيام كان الحصول على شقة أمرا ميسورا.. ولوكان مسموحا لهم بذلك وقتئذ لكانوا في وضع مالي أفضل مما هم فيه الآن. وقد علمت أن استفتاء أجرته الوزارة حول رغبتهم في فتح عيادات خاصة فكانت النتيجة أن خمسة وتسعين في المائة منهم قالوا: لانرغب.. وقد رتبت حياتنا على حصولنا على البدل فنحن من أصحاب الدخل المحدود.. وإلغاؤه يسبب ارتباكا شديدا في حياتنا!!

سيادة الوزير: إن الدولة إدراكا منها لمعاناة محدودي الدخل.. تقدم ماتطيقه من تيسيرات لتخفيف المعاناة.. وليس من المعقول أن تفعل الدولة ذلك.. وتفعل وزارة الصحة شيئا آخر!! إنني واثق أنك سوف تعيد النظر في القرار الوزاري ٦٤٠ لسنة ٨٠ ليطبق على مفتشي الصحة في المستقبل وإعطاء «القدامى».. أي استمرار صرفهم لبدل العيادة رفقا بهم.. مع الشكر سلفا.